

منزلة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)



السلام عليك يا بنت حبيب الله؛

منزلة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

يوافق اليوم العشرون من شهر جمادى الآخرة الذكرى العطرة لولادة بضعة الرسول الأكرم فاطمة الزهراء عليها السلام، وبهذه المناسبة الميمونة نسلط الضوء على بعض ما ورد في شأنها ومنزلتها.

مما لا شك فيه أن نبي الهدى محمد (صلى الله عليه وآله): (لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ، (النجم : 3 - 4) .

فما يصدر منه مع خاصّة أهله مما فيه الميزة على ذوي قرياه، وأتمته منبعث عن سرِّ إلهي، ربّ ما يقصر العقل عن إدراكه .

وقد ورد عنهم (عليهم السلام) في المتواتر من الآثار: (حديثنا صعبٌ مُستصعبٌ، لا يتحمّس لهُ إلا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، أو نبيٌّ مُرسَلٌ، أو عبدٌ امتحنَ اللهُ قَلْبَهُ بِالإِيمَانِ).

فما ورد في الروايات من مميّزات آل الرسول (صلى اللهُ عليه وآله) - مما لا تحيله العقول - لا يُرمى بالإعراض، بعد إمكان أن يكون له وجه، يظهره المستقبل الكشّاف .

وعلى هذا فما ورد في الآثار المستفيضة بين السُّنّة والشيعَة من فعل النبي (صلى اللهُ عليه وآله) مع ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الإكثار في تقبيل وجهها، حتى أنكّرت عليه بعض أزواجه فقال (صلى اللهُ عليه وآله) رادّاً عليها: (وما يَمْنَعُنِي من ذلك، وإِنِّي أَشَمُّ منها رائحة الجَنَدَة، وهي الحَوَراءُ الإِنسيّة).

وكان (صلى اللهُ عليه وآله)، يقوم لها إن دَخَلَتْ عليه، مُعَطِّمًا وَمُجِدِّجًا لَهَا، وإذا سافرَ (صلى اللهُ عليه وآله)، كانَ آخِرُ عَهْدِهِ بِإِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ ابْنَتِهِ فاطمة (عليها السلام)، وإذا رجع من السفر فأوَّسَل مآ يَبْتَدئُ بِهَا .

وقال (صلى اللهُ عليه وآله)، وقد أخذ بيده الشريفة الحسنين (عليهما السلام): (مَنْ أَحَدَيْتَنِي، وَهَدَيْتَنِي، وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا مَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وكان (صلى اللهُ عليه وآله) يقف عند الفجر على باب فاطمة (عليها السلام) ستة أشهر بعد نزول آية التطهير، يُؤدِّبُ نَهْمًا لِلصَّلَاةِ ثم يقول: (إِنِّي زَمَمًا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)، (الأحزاب 33).

وقال (صلى اللهُ عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام): (يا بُنْدَيْيَّةُ، مَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأَلْحَقَهُ بِبَيْتِي مِنْ الْجَنَّةِ).

وقال (صلى اللهُ عليه وآله) أيضاً: (أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَ مَهُمْ، وَعَادُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ).

وقال (صلى اللهُ عليه وآله) أيضاً: (فَاطِمَةُ بَعْضَةُ مِنِّي، يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا، وَيُرِيدُنِي مَا رَابَهَا).

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: (إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّْي، يُغْضِبُنِي مَنْ أَغْضَبَهَا) .

وإلى غير ذلك من كلماته الشريفة، التي تنمُّ عمَّالها حباها المهيمن جلاله شأنه من أطاق و
مزايا اختصَّت (عليها السلام) بها دون البشر، وكيف لا تكون كذلك، وقد اشتُقَّت من النور الإلهي
الأقدس .

ولقد علَّمنا من مقام النبوة، وممَّال ورد في نصوص السنَّة النبوية والعلاوة، أن النبي
(صلى الله عليه وآله) لم يُحرب أحدًا لِمَحَضِ العاطفة، أو واشجة القُربى .

فما يلفظه (صلى الله عليه وآله) من قول، أو ينوء به من عمل، ولا سيما في أمثال المقام، لا يكون
إلا عن حقيقة راهنة، وليس كمن يحدوه إلى الإطراء الميول والشهوات .

فما صدر منه (صلى الله عليه وآله) من خصائص الصديقة الطاهرة (عليها السلام) لا يكون، إلا عن وحي
يحاول أن يرفع مستواها عن مستوى البشر أجمع .

فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يصدع إلا بحقائق راهنة، جعلتها يدُ المشيئة، حيث أجزت عليها
سَيلَ الفضل الرُّبُوبي، فهي نماذج عن الحقيقة الموحَّمة المجدولة حلقة بين المبدأ
والمنتهى، ورابطة بين الحديث والقديم .

وبالنسبة إلى آية التطهير: إِنَّ زَمَّامًا يُرِيدُ الْإِسْلَامَ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ،
وَيُطَهِّرَ كُفْرًا تَطْهِيرًا) ، (الأحزاب 33) .

فقد اتفقت آراء المفسرين وأرباب الحديث والتاريخ على أنها، نزلت فيمن اشتمل عليهم الكرساء .
وهم؛ النبيُّ الأعظمُ موحَّمدٌ (صلى الله عليه وآله) ، ووصيُّه المُقَدَّمُ، عليُّ بن أبي
طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وابنتُهُ فَاطِمَةُ الزهراء (عليها السلام) ، وَسَيِّطَاهُ
سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ (عليهما السلام) .

ولم يُخَفَّ المُرادُ من الرِّجْسِ المَنَفِيِّ في الآية الكريمة بعد أن كانت واردة في مقام الامتنان
واللطف بمن اختصَّت بهم .

فإنَّ الغرضَ بمقتضى أداة الحصرِ قَصْرُ إرادةِ المولى سبحانه على تطهير مَنْ ضَمَّ هُمْ الكِسَاءَ
عن كُلِّ ما تَسْتَقْدِرُهُ الطَّبَاعُ، ويأمر به الشيطان، ويَحَقُّ لأجله العذاب، ويُشِينُ
السُّمْعَةَ، وتُفْتَرَفُ به الآثامُ، وتَمُجُّهُ الفِطْرَةُ، وَتَسْقُطُ به المُرُوءَةُ .